السلسلة القرآنية في تفسير كتاب الله عز وجل
وبيان ما فيه من الفوائد والأحكام والدروس التربوية

انشراح الصدور في تدبر سورة النور

إعداد
أ.د سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم
الأستاذ بقسم القرآن وعلومه
بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة القصيم

دار العاصمة
للنشر والتوزيع

الإهداء

أهدي هذه السلسلة المباركة لجميع المسلمين، وبخاصة طلاب العلم الشرعي، وأخص منهم أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وكل من ينشد السعادة ويستلهم الرشد والهداية من كتاب الله عز وجل.

والله أسأل أن يعم بنفعه، وأن يضاعف أجره لـيَ ولوالـديَّ ووالـديهم، ولكل من استفدت منهم من علماء المسلمين في التفسير وغيره، وكل من كـان عوناً لي - ولـو بالتشـجيع علـى هـذا العمـل -، وأن يبـارك في ثوابـه لأهلـي وأولادي وإخواني وأخواتي وجميع أقاربي وجيراني، ومن أحبني في الله، ومـن أحببته في الله، ومشائخي وزملائي وطلابـي، وجميـع إخـواني المسـلمين، فـإن فضله عز وجل عظيم، وكرمه واسع، وجوده عميم.

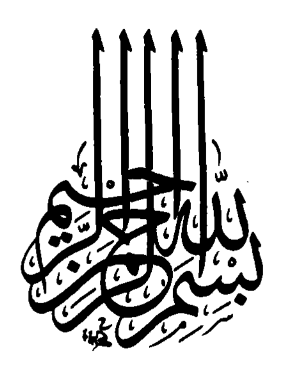
أخي الكريم: هذا العمل جَهْدُ الـمُقِلّ، ولا يخلو من تقصير، كغيره من أعمال البشر، وكما قيل:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلُّها ... كفى المرءَ نُبلاً أن تُعَدّ معايبـه

المـؤلـف

القصيم - بريدة

ص. ب ٢٣٤٤٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقـدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد:

فقد خص الله ـ عزِ وجل ـ سورة النور من بين سور القرآن الكريم بمطلع فريد، فقال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ مع أنه ـ عز وجل ـ أنزل القرآن كله، وفرض الأخذ به، وذلك ـ والله أعلم ـ لما اشتملت عليه هذه السورة من جوانب تربوية عظيمة من أهمها ما يلي:

أولاً: إثبات أن الله ـ عز وجل ـ نور السموات والأرض بذاته وصفاته وآياته وأن من منحه الله ـ عز وجل ـ نور الإيمان في قلبه صار على بصيرة تامة في أمور دينه ودنياه وآخرته ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

ثانياً: صيانة طهر المجتمع وعفافه وتربيته على الفضيلة، والبعد عن الرذيلة، بما ذكر فيها من الحدود كحد الزنا والقذف، وتحريم نكاح الزناة وحكم اللعان، وتبرئة أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفضح المنافقين وتكذيبهم، والوعيد الشديد لمن تولى كبر الإفك منهم، ومعاقبة من وقع في ذلك من المؤمنين، وبيان عظم ذلك وخطورته ـ والتحذير من العود لمثله. واللعن في الدنيا والآخرة والعذاب الأليم لمن يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، والوعيد لمن يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين، وبيان أن الخبيث والطيب كل منهما لا يليق إلا بمثله. وبما ذكر فيها من توجيهات وآداب سامية كريمة، من النهي عن اتباع خطوات الشيطان، والأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول ﷺ، والأمر بالإحسان والعفو والصفح، والاستئذان والسلام، وغض الأبصار، وحفظ الفروج والحجاب، والنهي عن إبداء المؤمنات زينتهن إلا لمحارمهن ومن ذكر

معهم، وإيجاب التوبة، والترغيب في إنكاح الأيامى، والأمر بالاستعفاف لمن لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله، ومكاتبة من يريدون المكاتبة من المماليك، وعونهم على ذلك، وإيجاب دعاء الرسول ﷺ باسم النبوة والرسالة، وإجابة دعوته ﷺ.

ثالثاً: الجمع بين الترغيب والترهيب، ببيان الفرق الشاسع والبون الواسع، بين أهل الإيمان والكفر، بين من نوّر الله بصائرهم وقلوبهم بالإيمان، فهم في هذه الحياة يسيرون على نور من الله، يسبحونه ويذكرونه ويصلون له، ويزكون، ويعبدون الله، لا يشركون به شيئاً، إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا كانوا على أمر جامع مع الرسول ﷺ لم ينصرفوا حتى يستأذنوا، فلهم الوعد من الله ـ عز وجل ـ بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم، وتبديل خوفهم أمناص، وحسن الجزاء والزيادة والفلاح والفوز بالجنة والنجاة من النار، فما أعظم الفرق بينهم وبين من أعمالهم كسراب بقيعة، أو كظلمات في بحر لجي تغشاه من فوقه الأمواج والسحاب، وهم أهل الكفر والنفاق المتولون عن الإيمان، المعرضون عن حكم الله ورسوله، الذين تخالف أفعالهم أقوالهم، ممن يحلفون على الكذب وهم يعلمون، فلهم الوعيد الشديد والعذاب الأليم في النار وبئس المصير.

رابعاً: بيان عظمة الله ـ عز وجل ـ وأن كل ما في السموات والأرض يسبحه، وملك له، وذكر بعض الأدلة على قدرته التامة من إزجاء السحاب وتأليفه، وإنزال المطر والبرد، وتقليب الليل والنهار، وخلق كل دابة من ماء، ورد جميع الخلائق وتصييرهم إليه ـ سبحانه.

خامساً: الدلالة على واسع رحمته وفضله ورأفته ومغفرته وعلمه وحكمته، في توبته ـ عز وجل ـ على من تاب من المؤمنين ممن حصل منهم القذف، أو

خاضوا في قضية الإفك، ورفعه الحرج عن القواعد من النساء في وضع بعض الثياب والتخفف منها، ورفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في ترك الجهاد وما يشق عليهم القيام به، ورفع الجناح في الأكل من بيوت مَن ذكر الله ـ عز وجل ـ من الأقارب وغيرهم.

إلى غير ذلك من الجوانب الهامة التي تناولتها هذه السورة العظيمة.

لهذا أفردها جمع من أهل العلم بالتفسير منهم ابن تيمية والمودودي والدكتور إسماعيل سالم وغيرهم، كما أطال الكلام عنها كثير من المفسرين في تفاسيرهم، بما لا مزيد عليه، إلا بإبراز بعض الجوانب التربوية والحكم والفوائد، وجمع ذلك وتوطئته وهو ما قصدته في تفسير هذه السورة، وقد سميته «انشراح الصدور في تدبر سورة النور» لمناسبة قول الله ـ عز وجل ـ فيها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ الآية، وقوله: ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾، فإن من منحه الله ـ عز وجل ـ هذا النور انشرح صدره كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

أسأل الله العلي العظيم بمنه وكرمه أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وفي ميزان حسناتي ووالديّ إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المؤلف